mroftalp htehaB ni knil muideM



# رحلة اليقين ٦١: سؤال: من خلق الله؟

إياد قنيبي

---

السّلامُ عليكم - 00:00:21
كنتُ في صِغَري وأنا مُستَلقٍ على سريري قبلَ النّومِ أتَسَاءَلُ: - 00:00:22
أَلَيسَ لِكُلّ شيءٍ خَالِقٌ؟ - 00:00:25
فمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ - 00:00:28
ثمّ أُحِسُ بأنّ هذا السُؤالَ حرامٌ لا يخطرُ ببالِ أحدٍ مِن حولي - 00:00:29
كَبُرتُ فعرَفتُ أنّ هذا السُؤَالَ يتساءَلهُ الكثيرونَ - 00:00:33
بَل، وعرفتُ أنّ النّبِيّ -صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قد نَصّ على أنّ كثيرينَ سيسألونهُ - 00:00:36
وأرشدَ إلى طَرِيقةِ التّعامُلِ مع هذا السُؤالِ - 00:00:42
بدايةً، ما مَنشَأُ هذا السُؤالِ؟ - 00:00:45
مَنشَؤهُ أنّنا نظُنُ القاعدةَ كَالتّالي: )لكلّ شيءٍ مُسبِّبٌ، ولكلّ مَوجودٍ خَالِقٌ( - 00:00:48
بينما القاعدةُ الصّحيحَةُ هي: )لكلّ شيءٍ حَادِثٍ مُسبِّبٌ، ولكلّ مَخْلُوقٍ خَالِقٌ( - 00:00:55
لكلّ شيءٍ حادِثٍ مُسبِّبٌ - 00:01:03
)حادِثٌ( أي له بدايةٌ، وُجِدَ بعد أن لم يكن مَوجودًا - 00:01:05
فكلُ ما له بدايةٌ، لا بُدّ له مِن مُسبِّبٍ أخرجهُ مِن العَدَمِ إلى الوجودِ - 00:01:09
أحدَثَهُ بعد أن لم يكنْ - 00:01:15
ما الّذي أنبتَ النّبْتَةَ؟ المطرُ - 00:01:18
حسنًا، ما الّذي أنزلَ المطرَ؟ السّحابُ - 00:01:20
وما الّذي كَوّنَ السّحابَ؟ البُخارُ المتصاعِدُ - 00:01:22
حسنًا، ومِن أينَ جاءَ هذا البُخارُ؟ مِن البحارِ - 00:01:25
ومَن أوجدَ البحارَ؟ اللهُ - 00:01:28
ومَن أوجدَ اللهَ؟ ليس له مُوجِدٌ؛ - 00:01:30
لأنّه السّببُ الأوّلُ - 00:01:33
أي ليس له مُسبِّبٌ - 00:01:35
حسنًا، لِماذَا؟ - 00:01:38
لأنّك لو افترضتَ أنّه أوجدَهُ خَالِقٌ، فستسألُ ومَن أوجدَ خالِقَ الخالِقِ؟ - 00:01:40
وهكذا إلى ما لا بدايةٍ - 00:01:46
وهذا يُؤَدّي إلى تسلسُلِ الأسبابِ ويُسَمّى أيضًا )تسلسُلَ الفاعِلينَ( - 00:01:49
وهو مُستحِيلٌ عقلًا؛ - 00:01:53
لأنّ نتِيجتَهُ أن لا يحصلَ خَلْقٌ أصلًا -كما بَيّنا في الحلقةِ الماضيةِ- - 00:01:55

وضربْنا له مثالَ الأسيرِ الّذي لا يُطْلَقُ سَراحُهُ حتّى يتلقّى الجُنديُ أمرًا مِن قائدِه، - 00:01:59
والقائدُ مِن قائدِهِ وهكذا إلى ما لا بدايةٍ، فلا يُحرَرُ الأسيرُ - 00:02:05
فإذا رأيناهُ أطلقَ سَراحَهُ عَلِمنا أنّ السِّلسلةَ وَقفتْ عند مَن أعطى الأمرَ - 00:02:10
دُونَ أنْ يَتلقّى أمرًا مِن أحدٍ أعلى مِنهُ رُتبةً - 00:02:16
مثالٌ آخرُ يُوَضّحُ استحالةَ التّسلسُلِ في الأسبابِ إلى ما لا بِدايةٍ: - 00:02:19
إذا دخلتَ بَيتًا، ونظرتَ مِن بابٍ فيهِ، فرأيتَ وراءهُ ثُرَيّا مُعلّقةً بِسلسلَةٍ - 00:02:23
لكنّكَ لم ترَ مِن أين تبدأ هذه السِّلسَلَةُ، - 00:02:29
فإنّكَ تَجزمُ بأنّ لها بدايةً في السّقفِ وإلّا لَسقطتْ وما بقيتْ مُعلّقةً - 00:02:31
ولن تَتقبّلَ فِكرةَ أنّ السِّلسلةَ قد تكونُ مُمتدّةً إلى ما لا بدايةٍ - 00:02:37
لذلكَ فسؤالُ )مَن خَلَقَ الخَالِقَ؟( سُؤَالٌ خَطأ؛ لأنّهُ يُخالِفُ العَقلَ - 00:02:41
لأنّ العقلَ يَقتضي أنّهُ إذا كان الكَونُ مَخلُوقًا فلا بُدّ مِن وُجودِ خالِقٍ غَيرِ مَخلُوقٍ - 00:02:47
سؤالٌ خطأ؛ لأنّهُ لا بُدّ -عَقلًا- مِن سببٍ أوّلٍ، - 00:02:52
فعندما تقولُ: مَن خالِقُ السّبَبِ الأوّلِ؟ - 00:02:56
فإنّهُ لم يَعُدْ أوّلًا - 00:02:59
بل أصبحَ سببًا ثانيًا - 00:03:00
إذن، فقانونُ السّببيّةِ يُطبّقُ على الأمورِ الحَادثةِ فقط - 00:03:02
إذا دخلتَ غُرفتكَ، ورأيتَ سريركَ قد تَغيّرَ مَكانهُ فإنّكَ تقولُ: مَن غَيّرَ مكانَ السّرير؟ - 00:03:08
لأنّ تغيُّرَ مكانِهِ أمرٌ حادِثٌ - 00:03:13
بينما إذا دخلتَ غُرفتكَ، ولم تر مكانَ السّرير تغيّرَ، فإنّكَ لا تَسألُ مَن أبقى السّريرَ مكانَهُ؟ - 00:03:16
لأنّ بقاءَهُ مكانَهُ ليس أمرًا حادِثًا حتّى يكُونَ له محدِثٌ - 00:03:22
واللهُ تعالى -بما أنّهُ السّببُ الأوّلُ- فليس حادِثًا حتّى يكُونَ له مُحدِثٌ - 00:03:26
بل هو خارجٌ عن إطارِ المادّةِ التّي خلَقها وغيرُ مَحكُومٍ بقوانينِها - 00:03:32
إذا رأيتَ دُميةً تُحرّكُ بخُيوطٍ، وعلِمتَ أنّ هناكَ مِن خلفِ السّتارِ إنسانًا يُحرّكُها، - 00:03:37
فهل مِن المَقبولِ أنْ تَسألَ: ومَن يُحرّكُ خُيوطَ هذا الإنسان؟ - 00:03:44
إذا رأيتَ رغِيفَ خُبزٍ وعلِمتَ أنّهُ لا بُدّ للخبزِ مِن خبّازٍ، - 00:03:49
فهل تَسألُ: ومَن خبزَ الخبّازَ؟ - 00:03:52
لا بالتأكيد، بل هو سؤالٌ مُضحِكٌ وخاطِئٌ! - 00:03:55
لماذا؟ لأنّهُ طبّقَ تَعميمًا في غيرِ مكانِهِ - 00:03:58
وكذلكَ فالخَلقُ صِفةٌ مُلازِمةٌ للمَخلُوقِينَ، فلا تُعمّمُ على الخالِقِ - 00:04:02
فسؤالُ )مَن خَلَقَ اللهَ؟( سُؤَالٌ خَاطِئٌ - 00:04:08
مثل سُؤالِ: ما طُولُ الضِّلعِ الرّابعِ في المثلّثِ؟ - 00:04:11
وهو كأنّكَ تقُولُ: مَن خَلَقَ الّذي لا خالِقَ لَهُ؟ - 00:04:15
أو مَن الّذي سَبَقَ الّذي لا شيءَ قَبلَهُ؟ - 00:04:19
فالجَوَابُ: الخالِقُ ليس له خالِقٌ؛ لأنّهُ لو كان له خالِقٌ، لكانَ مَخلُوقًا لا خالِقًا - 00:04:23
لذا فهذا السُّؤالُ ليس مُحرجًا - 00:04:30

ولا خافتِ الشّريعةُ مِن أنْ يَخطرَ ببالِ النّاسِ - 00:04:33
بل أخبرَ النّبِيُّ -صَلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- سلَفًا بأنّهُ سيُسألُ - 00:04:35
وأرشدنا إلى التّعامُلِ معهُ - 00:04:39
إلى ماذا أرشدَنا؟ - 00:04:41
في الحديثِ الّذي رواهُ البُخاريُّ ومُسلِمٌ أنّ رسولَ اللهِ -صَلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ- قالَ: - 00:04:43
»يأتي الشّيْطَانُ أحَدَكُمْ فيقولُ: مَن خَلَقَ كَذَا، مَن خَلَقَ كَذَا، حتّى يَقُولَ: مَن خَلَقَ رَبَّكَ؟ - 00:04:47
فَإذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ باللّهِ ولْيَنْتَهِ« )صحّحه البخاريُّ ومسلم( - 00:04:54
"ولْينتَهِ" أي ينتَهي عَن الاسترسالِ والاستمرارِ مع هذه السّلسلةِ مِن التّساؤلاتِ بعد هذا الحَدِّ - 00:04:58
هل هذا حَجْرٌ على العَقلِ وتَعطيلٌ للعقلِ؟ - 00:05:05
أبدًا؛ بل هو الموقفُ العقليُّ الصّحيحُ - 00:05:09
لماذا؟ لأنّ هذا السّؤالَ: )مَن خَلَقَ رَبَّكَ؟( - 00:05:12
هو -كما بَيّنّا- سؤالٌ يُخالِفُ البدهيّاتِ العقليّةَ - 00:05:15
والبدهيّاتُ العقليّةُ هي الّتي يَنطَلِقُ منها الإنسانُ في الاستِدلالِ - 00:05:20
لا أنّهُ يَطلُبُ لها أدلّةً عليها حتّى يستَمِرّ في سِلسلةِ البَرَهَناتِ والتّعليلاتِ - 00:05:24
أي أنّ الّذي يسألُ هذا السّؤالَ كأنّ عليهِ أن يقولَ: ما الّذي أفعلُهُ؟! - 00:05:30
أنا أُخالِفُ العلُومَ الفِطريّةَ الضّروريّةَ - 00:05:33
إذَن فَلْأقِفْ عند هذا الحَدِّ وإلّا فإنّي أُهدِرُ عَقلِي - 00:05:36
لذلكَ فَفي الحَدِيثِ الآخَرِ - 00:05:40
وَجّهَ النّبِيُّ -صَلّى الله عَلَيهِ وَسَلّمَ- مَن يَأتِيهِ هذا السّؤالُ إلى أنْ يقولَ: - 00:05:41
»اللهُ أحَدٌ اللهُ الصّمَدُ لم يَلِدْ، ولم يُولَدْ، ولم يَكُنْ له كُفُوًا أحَدٌ« )حسّنه الألبانيُّ( - 00:05:46
أي: أنا آمنتُ بأنّ اللهَ ليس حادِثًا كالحوادثِ - 00:05:51
لم يُولَدْ لِتَكُونَ لَهُ بِدَايَةٌ أصْلًا، وليس أحدٌ مُكافِئًا لَهُ - 00:05:55
فهو تعالى بَائِنٌ عَن خَلقِهِ - 00:05:59
ليس مَخلُوقًا مثلهُم لِيكُونَ لَهُ خَالِقٌ، - 00:06:02
لذا فهذا السّؤالُ غيرُ صحيحٍ أصلًا - 00:06:05
لكِنّ السّؤَالَ يَهجُمُ عليّ، وأنا أعلمُ أنّهُ غيرُ صحيحٍ! - 00:06:08
لا عليك - 00:06:12
إذَنْ فهو وَسواسٌ تتعاملُ معهُ كما تتعاملُ مع وَسوَاسِ الطّهارَةِ والوُضوءِ والصّلاةِ؛ - 00:06:12
أنتَ إنْ كُنتَ مُصَابًا بِالوَسوَاسِ فإنّ الشّيطانَ يُحدِثُ لديكَ شَكًّا - 00:06:19
غسَلتَ يدَكَ أم لَم تَغسِلها؟ - 00:06:22
نوَيتَ الصّلاةَ أم لم تَنوِ؟ - 00:06:24
كَبّرتَ تَكبيرًا صحيحًا أم لم تُكَبِّر؟ - 00:06:26
مع أنّها -كُلّها- تكونُ أمورًا حِسّيّةً يقينيّةً لا تحتاجُ بَرَهَنةً ولا استِدلالًا - 00:06:29
ومع ذلكَ فأنتَ تَشُكُّ فِيها - 00:06:35
ما الحَلُّ في هذه الحالةِ؟ - 00:06:37

هل تَلجَأُ إلى البَرهَنةِ والاستِدلَال؟ - 00:06:38
لا، بل تَستَعيذ باللهِ مِن الشّيطانِ الّذي يُوَسوسُ لَكَ - 00:06:41
وتنتهي عَن التّفكيرِ في الشّكوكِ الّتي يُثيرُها - 00:06:45
وهكذا في حالَةِ سُؤَال: )مَن خَلَقَ اللهَ؟( - 00:06:48
وقد علِمتَ أنّهُ سؤالٌ يُخالِفُ ضَروراتِ العَقل - 00:06:51
خِتامًا، سُؤَالُ: )مَن خَلَقَ اللهَ؟( يسألهُ المُلحِدُونَ أيضًا اعتِراضًا على إيمانِنا باللهِ؛ - 00:06:55
لأنّهُم لا يتقبّلونَ فكرةَ أنْ يكونَ اللهُ أزَليًا بلا بدايةٍ - 00:07:02
قلْ لِلمُلحِدِ الّذي يَعتَرِضُ عليكَ بهذا الاعتراض: هل تُؤمِنُ بأنّ الكَونَ له بدايةٌ؟ - 00:07:07
فإنْ قالَ: نَعم، فلا بُدّ لهذا الكونِ الحادِثِ مِن مُحدِثٍ بِالبَديهَةِ العقليّةِ الواضحةِ - 00:07:12
وإن قالَ: لا، بلْ هو أزَليٌّ - 00:07:18
فقُل لهُ: تَعتَرِضُ على أزَليّةِ اللهِ، وتقولُ بأزَليّةِ الكَون؟! - 00:07:20
إذَن، فأنتَ لا تَعترِضُ على مَبدأ الأزَليّةِ بحَدِّ ذاتِه، - 00:07:25
لكنّكَ تَعترِضُ على أزَليّةِ خالقٍ - 00:07:28
أوجَدَ الكَونَ بعِلْمٍ، وإرادةٍ، وحِكمَةٍ وقُدرَةٍ تَظهرُ آثارُها في كُلِّ شَيءٍ، - 00:07:31
وتقولُ بأزَليّةِ كَون، هكذا بلا مُوجِدٍ - 00:07:37
كَونٍ لا إرادةَ له ولا عِلمَ ولا حِكمةَ - 00:07:40
ثُمّ ذَرهُم في طُغيانِهِم يَعمَهُونَ - 00:07:44
والسّلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ - 00:07:46